تجليات الذّاكرة في معلقة عنترة بن شدّاد

Manifestations of Memory in the Mu'allaqa of Antarah ibn Shaddad

م. م حوراء نعمه كمال بيعي

جامعة بابل / كلية الطب

med452.hawraa.namah@uobabylon

الخلاصة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين أبى القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين. وبعد ..

أهم ما يميز الشاعر هو أحساسه المرهف عندما يبدع في تصوير الشعر بطرق تختلف عن غيره ، إذ تُعد معلقة عنترة بن شدّاد من أبرز القصائد الجاهلية التي تجلَّت فيها الذّاكرة بوصفها عنصراً محورياً في تشكيل المعاني والصور الشعرية، فالذّاكرة في هذه المعلقة ليست مجرد استدعاء للماضي، بل هي وسيلة لاستحضار التجارب والتعبير عن المشاعر والصراعات الداخلية ، يتنقل عنترة بين الحنين إلى ديار المحبوبة، واستذكار بطولاته في ساحات القتال، مما يعكس تداخل الذكريات العاطفية والحربية في وجدانه.

في هذا البحث، سنستكشف تجليات الذّاكرة في معلقته، وكيف أسهمت في بناء هويته الشعرية، وإثراء تجربته الفنية باسلوب يمزج بين الحنين و الفخر.

الكلمات المفتاحية : (الذّاكرة ، المكان ، المرأة ، الحرب) .

Summary:

Praise be to Allah, the Lord of all worlds, and peace and blessings be upon the noblest of all creation, Abu al-Qasim Muhammad, and his pure and righteous family.

What distinguishes a poet most is their delicate sensitivity when crafting poetry in ways that differ from others. The Mu'allaqa of Antara ibn Shaddad is one of the most prominent pre-Islamic poems, in which memory plays a central role in shaping meanings and poetic imagery. In this poem, memory is not merely a recollection of the past but a means of reviving experiences and expressing emotions and internal conflicts. Antara shifts between longing for the beloved's homeland and recalling

his heroic feats on the battlefield, reflecting the intertwining of romantic and warlike memories in his soul.

In this study, we will explore the manifestations of memory in his Mu'allaqa, how it contributed to shaping his poetic identity, and how it enriched his artistic experience through a style that blends nostalgia and pride.

.) War ، , Woman , Place Memory Keywords: (

الذّاكرة: لغة واصطلاحاً

ان الجذر اللغوي للذّاكرة يرجع إلى" الذكْرُ: الحفظ للشيء تَذْكُرهُ. والذّكْرُ أيضاً : الشيءُ يجري على اللسان. والذّكْرُ أيضاً: الشيء يجريُ على اللسان... "( )[١].

و ذُكر في القاموس المحيط على انها التذكرة ما يستنكر به الحاجة و الاستذكار: الدراسة والحفظ ( )[٢].

فيمكن عّد الذّاكرة من الذكر و هو ما يحفظ و يجري على اللسان .

أما اصطلاحاً ، فالذّاكرة هي قدرة الإنسان على حفظ الخبرات الماضية في الوقت الحاضر ( )[٣]، اي إنها القدرة على استرجاع الماضي بطريقة الوقت الحاضر ، و الذّاكرة هي مستودع لحفظ المعلومات و المعارف ، و هي واحدة من مواهب الإنسان الفطرية ، فبدون الذّاكرة لا يمكن أن يكون هناك أي خصيصة للإنسان بوصفه إنساناً ( )[٤] .

و قد جاءت فاعلية الذّاكرة في الأدب تتمثل بأنها استذكار المواقف و الأحداث الماضية لأن الذّاكرة هي " معرفة حدث أو حقيقة لم نكن نفكر بها في الوقت الواقع بين وقوعها ، وتذكرها مع الوعي المضاف بأننا قد فكرنا بها و عبرنا عنها من قبل " ( ) ، فتكمن فاعلية الذّاكرة في الترابط بين الأحداث الماضية لتكوين صورة حاضرة .

(١) – لسان العرب مادة (ذكر).

(٢) – ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين محمد الفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، اشراف محمد نعيم العرقسوي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ، ط٨، ٢٠٠٥ :٣٩٧ .

(٣) – ينظر : المعجم المفصل في الأدب ، د. محمد التونجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٩٩م : ١ / ٤٦٠ .

(٤) – ينظر : اسرار الذّاكرة الانسانية و امكانات العقل البشري ، د. عزيزة محمد السيد ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٤م : ٥١ .

و ترتبط الذّاكرة بالخيال فتتكون صورة تخيلية ، لأن الخيال هو " مقدرة عند الانسان ترتبط بالأفكار و التجديد ... ، فضلاً عن كونه الأداة التي تقوم عليها العملية الإبداعية ... ، فلا تقوم المعرفة دون الخيال " ( ) ، فالخيال هو العنصر الذي يوصلّ الإنسان لحقيقة الحدث الماضي ، فمن خلاله يستطيع الإنسان تكوين صورة خيالية عن الأحداث و الخبرات السابقة ، كذلك إن العملية الإبداعية للشاعر تكمن في سعةِ خيالهِ و مدى قدرته على تذّكر المواقف الماضية .

فالشاعر عندما يتذكر يقوم بعملية إبداعية تكمن في نصه الشعريّ من خلال مخزونه الذاكراتي المحفز لمثيرات ابداعية ذاكراتيـة بحتة ، لذلك ترتبط " الذّاكرة الشعريـــة بالإبـداع ، و تستند إلى الماضي في بعث انجازات الحاضر ، لخلق حالة جديدة تتواشج مع جوهر بناء القصيدة و تدفعها نحو التنامي و الجدلية العميقة بين الشعر و الزمن " ( )، فالتذكر هو عملية إبداعية ترتبط بالمعرفة لإنتاج ذاكرة ذات امكانية واسعة في خلق أحداث واقعية حاضرة .

و اللغة الشعرية هي المكون الأساس لهذا المخزون الذاكراتي لأنها تخلق أفق الإبداع في الذّاكرة، فهي انتاج للذات من خلال الترابط مع الذّاكرة و التي بدورها تولّد مظاهر إبداعية ذاكراتية ( )، و لأن " اللغة تساهم في عمل الذّاكرة عن طريق النسيج الرابط بينهما ، و هذا ارتباط وثيق يؤدي إلى اظهار ذاكرة نابعة من عمق الفعل الإنساني " ( ).

و يمثل الشعر بأنه أبرز المظاهر الإبداعية في المجال الأدبي الخاص بالشاعر لأنه تأليف يجسد فكرة المبدع و يعبر عن وعيه و رؤيته للحالة الإنسانية ( ).

فمفهوم الذّاكرة يرتبط بالقوة الإبداعية للشاعر التي من خلالها يبدع في النص الأدبي ، إذ نلاحظ ان الذّاكرة تعدّ مقياس قدرة الشاعر على قول الشعر و التأثير في المتلقي .

الشعر هو انعكاس تام للواقع ، و رؤية فنية للحياة لأنه يكشف العلاقة بين المبدع و العالم الخارجي ، فضلاً عن الموقف المتجاوز و المتخطي للمبدع ( )، و بذلك تصبح الذّاكرة مصدراً أساسياً يوافق فيه الشاعر بين ذاكرته و نصه الأدبي ، فيبدع حينها في إبراز صورة شعرية مؤثرة في المتلقي ، اضافة الى ان الذّاكرة هي مثير المخيلة الأدبية عند الشاعر لما تخزنه من صور حقيقية و مفترضة متوالدة عن الحقيقة ( ) .

و تداخلت الذّاكرة في جميع المجالات و العلوم كالفلسفة و علميّ النفس والاجتماع و الأدب و الطب و غيرها من العلوم الأخرى .

( ) – الذّاكرة في الفلسفة و الأدب ، ميري ورنوك ، تر : فلاح رحيم ، دار الكتب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧م : ٩٦ – ٩٧ .

( ) – فاعلية الذّاكرة في تليباثي بين أسطرة الواقع و سحر الخيال ، د. ايمان العبيدي ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٨م : ٤٠ .

( ) – في الذّاكرة الشعرية ، قيس كاظم الجنابي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٨٨م : ٧ .

( ) – ينظر : الذّاكرة في شعر الصعاليك حتى نهاية العصر الأموي، رسالة ماجستير ، حوراء نعمه كمال ، جامعة بابل ، ٢٠٢٣م : ١٠ .

( ) – م . ن : ١٠ .

( ) – ينظر: تنصيص الذّاكرة في الشعر العراقي الحديث – التجربة الشعرية عند الروّاد – ، د. فاتن عبد الجبار جواد ، تموز للطباعة و النشر ، دمشق ، ط١ ، ٢٠١٢م : ٦٤ .

( ) – ينظر : الحرب في الزمنين التأريخي و الشعري ، د. ريتا عوض ، مجلة الكويت ، العدد ٥٣٩ ، ٢٠٠٣م : ٧٤ .

( ) – ينظر : فاعلية الذّاكرة في تليباثي بين أسطرة الواقع و سحر الخيال : ٧ .

تجليات الذّاكرة في معلقة عنترة بن شدّاد

م. م حوراء نعمه كمال بيعي

ففي الفلسفة نجد أفلاطون – و هو أقدم فيلسوف – يشرح عملية التذكر ، إذ يرى بـ " أننا حين نرى شيئين متساويين في الواقع فإنـنا نحكم عليهما بالتسـاوي لمعرفتنا السابقة بحقيقة المـساواة " ( ) فيقصد إنها معرفة سابقة مستوحاة[٣] من حياتنا السابقة . [١]

أما أرسطو (٣٢٢ ق.م) فيرى ان " الذّاكرة قائمة على الصور، بينما الذّاكرة تدرك ان هذه الصورة هي صورة شيء قد سبق إدراكه ، فهي تتعلق بالماضي " ( ) ، أي ان الذّاكرة ترجع إلى الزمن[٤] الماضي ، و هي ترتبط بفعل التذكر[١] بصورة عفوية تحدث تلقائياً ، و بذلك فقد عارض أرسطو استاذه أفلاطون في شرح عملية التذكر و الذاكرة .

و قد مثّلت الذّاكرة في معلقة عنترة بن شدّاد واقعاً حقيقياً مرّ بها الشاعر حتى استقى منها مادته الشعرية و المتمثلة بحياته العاطفية مع ابنة عمه (عبلة) حتى أصبحت ذاكرته مثقلة بالأحداث التي عاشها مع عبلة و التي بقيت على حالها بعد رفض عمه زواجه منها . فكانت هذه المرأة محط أشعاره و قاموسه الشعريّ المليء بالحُب و المشاعر و الزاخر بالذّاكرة التي يسترجع فيها ذكرياته معها .

ذّاكرة الشاعر المكانية :

نشأ الشاعر عنترة بن شدّاد نشأة بدوية صحراوية ، ذات طبيعة جامدة و لاهبة بحرارتها ، و من هذه البيئة الصحراوية الجاهلية استقى عنترة ذاكرته ووظفها في أشعاره ، و نجد إن للمكان دور مهم في العمل الفني خاصة و إنه عنصراً مهماً من عناصر التجربة الأدبية ، و لأنه يمثل مرتكز وقوع الأحداث ضمن زمن داخلي نفسي تحدده التجربة في العمل الفني ذاته ( ) ، و ترتبط الذّاكرة بالمكان [٥] ارتباطاً وثيقاً لأن من خلاله يستدعي الشاعر الأحداث السابقة التي حدثت معه ، إذ " تترك الحوادث أثرها البعيد في نفسه فيعيش الذكريات ، حتى يجعل منها حقيقة يسترجع بها مشاعره الغابرة في كل مكان مر به ، ... فصور الجمال لا تفارق ناظريه ، فهو يلتقطها بعين مصورة " ( ) ، و نجد ذّاكرة الشاعر المكانية سّائدة في أغلب أشعاره نتيجة للبيئة الّتي عاش فيها ، و معلقة عنترة بن شدّاد المشهورة تحوي العديد من مواطن الذّاكرة التي تعكس الذكريات و الحنين.

و من أبرز هذه المواطن ما قاله في مطلعها [١] (من الكامل) [٧] :

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

ابتدأ الشاعر معلقته بإستفهام يتضمن معنى الإنكار ، و جعل بينهما (أم المعادلة) ليوازن بين طرفي السؤال الذي يحاكـي الإنسـان و المكان في آنٍ واحدٍ ، فاستـوقفته ذاكرته لمّا كان للدار بُعد ذاكراتي مهيمن في البيت الشعريّ ، فمن خلاله أراد أن يبرز مخزونـه الذّاكراتي المكاني و الذي يعيده الى تذكر حبيبته و ديارها .

و يقول أيضاً [١] [٨] :

([١]) – تاريخ الفكر الفلسفي أرسطو و المدارس المتأخرة ، د. محمد علي أبو ريان ، دار المعرفة الجامعية : ٢ / ٢٥٧ .

([١]) – م . ن : ٢ / ١٥٤ .

([١]) – ينظر : المكان في الشعر العربي قبل الاسلام ، رسالة ماجستير ، حيدر لازم مطلك ، جامعة بغداد ، ١٩٨٧م : ١٧ .

([١]) – قراءة في ديوان غنائيات الحب و الحياة ، عبد اللطيف أرناؤوط ، المجلة العربية ، سوريا ، العدد ٩٨ ، ١٩٩٣م : ٨٨.

([١]) – شرح ديوان عنترة ، الخطيب التبريزي ،قدمه : مجيد طراد ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، ١٩٩٢م : ١٤٧ .

يا دارَ عبلةَ بالجـواءِ تكلمي و عِمِي صباحاً دار عبلةَ و اسلَمي
و تحلُّ عبلةُ بالجواءِ و أهلُنا بالحــزنِ فالصَّمـــانِ فالمُتلثــمِ

يستذكر الشاعر ديار حبيبته التي رحلت عنه ، إذ يستحضر (عبلة) في ذاكرته من خلال مناداتها بـ (يا دار عبلة) ، فهو يدعوها لتعيش معه مرارة و قساوة الذكرى بعدما دعا لها بالخير و السلامة بقوله (و عمي صباحاً ...) .

ثم يذكر (الحزن ، الصمان ، المتلثم) ليؤطر الشاعر ذاكرته بأن أحب مكان الى قلبه هو مكان الحبيبة و الأهل ، إذ تعد هذه الأمكنة من أخصب و أجمل أماكن العرب في الجاهلية .

و يذكر ابن رشيق ان الشعراء " كانوا قديماً أصحاب خيام ، يتنقلون من موضع الى آخر ، فلذلك أول ما تبدأ اشعارهم بذكر الديار ، فتلك ديارهم " ( ) ، فالمقصود من ذكر المكان هو لتأكيد عملية الربط و ما بينه و بين الحيز الذي ينشد إليه بعلاقة وجود حقيقة واقعية ( ) ، فالشاعر استرجع صورة من صور الذّاكرة و هي ديار الحبيبة ليعبر فيها عن الآمِه و حسراته تجاه مغادرة عبلة و انتقالها لديار أخرى .

و بذلك " تؤدي الذّاكرة بعملها وظيفة التنسيق أيضاً من حيث إن التذّكر يعني اخضاع ما يتم تذكره كلما تم استحضاره لمعالجة و إعادة صياغة و تشكيل " ( ).

و يستذكر الديار في بيت آخر ، فيقول ( ) :

أعياكَ رَسمُ الدارِ لــم يتكلمِ حتّى تكلّـمَ كالأصـمِّ الأعجـمِ

استرجع الشاعر ذكريات الأطلال مع عبلة ، فيستذكر الأطلال التي طمستها الظروف البيئية و أخفت معالمها ، فهو يخاطب عبلة عند وقوفه أمام رسم الدار الذي هُجر و دُمر و يحاول يستنطقها ليتذكر الذكريات و الماضي فيقول (أعياكَ رَسمُ الدارِ) ، حتى بدأ يتخيل بأنها تتكلم ، فحتى الجماد (الدار) أصبح بالنسبة لــه كائناً حيّاً، بسبب الصراع الداخلي للشاعر و حالة الاغتراب التي يعانيها ، ألبس الجماد صورة الكائن الحي و جعلــه ينطق لكن لغته غامضة غير مفهومة تشبه الأصم الأعجم ، و فيها دلالة واضحة لما يعانيه الشاعر من ظروف قاسية و واقع مرير ، فاستعمل الشاعـر مؤشـر ذّاكراتي قـوي (أعياك ، رسم ، تكلّم ، الأصم ، الأعجم) رمزَ له بأنه كائنٌ حيٌّ عليه النطق ، فهو مزج بين الصراع و الصمت و نسبها الى الدار .

و نجده في بيت آخر يقول ( ) :

حييتُ من طللٍ تقادمَ عهدُه أقوى و اقفرَ بعـدَ أم الهيـثمِ

( ) – م . ن : ١٤٨ و ١٥٠ .

( ) – العمدة في صناعة الشعر و نقده ، ابن رشيق ، تح : د. النبوي عبد الواحد شعلان ، ط٢ ، دار الغواص لنشر مكنون العلم و صونه ، ٢٠١٩م ، ١/ ٢٦٢ .

( ) – ينظر : السرد و الاعتراف و الهوية ، د. عبد الله ابراهيم ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١١م : ٤٦ .

( ) – التكامل و الابداع بين الفن و الادب و العلم ، منذر بدر حلوم ، مجلة عمّان ، عمان ، العدد ١٠٠ ، ٢٠٠٣م : ٧١ .

( ) – الديوان : ١٤٧ .

( ) – الديوان : ١٥٠ .

تجليات الذّاكرة في معلقة عنترة بن شدّاد

م. م حوراء نعمه كمال بيعي

يخاطب الشاعر بقايا الديار التي يقصد بها ديار الحبيبة ، فهو يسلّم عليها و يحييها ، فيتذكر هذه المنازل التي مرّ عليها زمن طويل ، و التي أصبحت خالية مـن ساكنيها (أم الهيثم) أي حبيبته ، فهو يعبر عن حنينه إلى الماضي بمخاطبة هذه الديار و القاء السلام على ساكنيها .

ثم يقول في أحد أبياته [٢] [٤] :

كيف المزارُ و قد تربع أهلُها بعُنيزتين و أهلُنــا بالغليمِ

يستذكر الشاعر مكان محبوبته و يعبر عن شوقه و حنينه إليها بسبب البعد المكاني بينهما و كانت الفاعلية الذّاكراتية في (عنيزتين ، الغليم) ، و ابتدأ قوله بالاستفهام (كيف) فهو يسأل عنها و عن أهلها إذا حلّ بهم الربيع و هما متفرقان كل منهما في مكان بعيد عن الآخر ، فنجد في البيت الشعري ثنائية (الماضي) المتمثلة بذّاكرة الشاعر ، و (المستقبل) و هو فصل الربيع .

فالشاعر يستذكر هذه الأمكنة ليعبر عن دوافع نفسية و عاطفية عاشها بسبب بُعد الحبيبة عنه و خلو الديار منها ، فنجده يعبر عن هذه الدوافع بذّاكرة قوية لإظهار كوامن ذاته ، و تذّكر هذه الأماكن ما هي الا " عاملاً لتحريك الشاعرية من خلال تداعي الذكريات " [٢] [٦] .

ذّاكرة الشاعر (المرأة) :

ينتقل الشاعر عنترة إلى الجانب الآخر من تجليات ذّاكرته ألا و هي **المرأة** ، إذ جاءت مواقف الشعراء بصورة عامة تجاه المرأة و تجلياتها من خلال تعدد الصور التي ينقلوها في شعرهم في شتى المعاني و الأساليب و التي تدل على قدرتهم الإبداعية في إيصال ما يجول في الذّاكرة من مواقف و أحداث تجاه المرأة [٢] [٦] .

حُب عنترة لعبلة كان حُبًا عظيمًا وخالدًا، تميز بالإخلاص والتضحية، أحبها منذ صغره لكنها كانت من قبيلة أشراف، بينما كان هو عبدًا، الأمر الذي جعل زواجهما صعبًا، حاول إثبات نفسه بشجاعته في الحروب وقوته في القتال، حتى أصبح فارسًا لا يُقهر، كتب فيها أجمل أشعاره، وعبّر عن عشقه العميق لها رغم العوائق، ورغم رفض أهلها له في البداية، استمر في حبه حتى انتصر بحبه وشجاعته، ليصبح حبّه لها رمزًا للأسطورة والرومانسية في الشعر العربي.

و صورة المرأة في معلقة عنترة تتمثل بحبيبته (عبلة) ، فنجده يستذكر حبها في معلقته و يسترجع ذاكرته و مخزونه الذّاكراتي ليظهر لنا الكم الشعريّ الزاخر بالحُب و التعلق و الشوق لها ، و يعدّ حُب عنترة لعبلة من أبرز مواطن الذّاكرة في معلقته ، فهو استقى ذاكرته من جمالها و شوقه و حُبه العميق لها رغم الصعوبات التي واجهها في سبيل حُبها ، و ينعكس ذلك من خلال ثراء تجربته الانسانية و الشعرية لأن الذّاكرة عند عنترة كانت تلعب دوراً مهماً في تشكيل هذه التجربة الشعرية .

فنجده يقول [٢] [٧] :

هلاّ سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ إنْ كنتِ جاهلةً بما لم تَعلمي

---

(٢) – م . ن : ١٥٣ .

(٢) – دلالة المكان في الشعر الجاهلي ، د. عمار القريشي و أ. معمري فواز ، مقالات الباحث العلمي ، جامعة محمد بوضياف – المسيلة ، ٢٠١٦م : ٩٣ .

(٢) – ينظر : النسق الثقافي في قراءة ثقافية في انساق الشعر العربي القديم ، يوسف عليمات ، عالم الكتب الحديثة للنشر و التوزيع ، الجامعة الهاشمية ، ط١ ، ٢٠٠٩م : ١٢٧ .

(٢) – الديوان : ١٧١ .

هنا اسلوب مرتبط بالذّاكرة لكونه يحيل إلى أمر ماضٍ ، فالشاعر يوجه كلامه لعبلة و خصّها بالنداء ، إذ يخاطبها بخيال واسع و بذّاكرة مليئة بالشوق و الحنين و كأنها حاضرة معه ، فيستحضر من خلالها و يذكرها بأنه شجاعاً و ذا مروءة و لا يهاب المعارك و الحروب .

كما انّ أفعاله مشهودة له حتى مع الخيل التي ترافقه اثناء الحرب ، فهذه ذّاكرة لا تنسى إذ انه يرى إن أفعاله لا تحتاج إلى تبرير أو دليل و هذا يعكس الفخر و الكبرياء الموجود عند العرب الجاهليين .

و يقول في بيت آخر ([٢٨]) :

إن كنت ازمعتِ الفراقَ فإنما زُمَّت ركابُكم بليــلٍ مظلمِ

في البيت الشعري دلالات نفسية متألمة حزينة يعبر من خلالها الشاعر عن مشاعره و أحاسيسه ، فهو يصوّر لنا مأساته و قساوة الفراق الذي تعرض له جرّاء حُبه لعبلة ، فهو يسترجع ذكرياته و يدخل في العمق الذّاكراتي ، إذ يذكر الليل المظلم للدلالة على الحزن و الظلام المخيم على قلبه بسبب فراق حبيبته و كأنه يودعها بلحظة حالكة من حياته .

فكانت عبلة تمثل محور ذّاكرة عنترة التي يفوق بها في أغلب أشعاره .

إن حضور المرأة كان واضحاً في شعر العرب في العصر الجاهلي ، إذ احتلت مكانة مميزة بحيث كانت لسان حالهم ، و كان لها الدور في تأجيج مشاعرهم في كل مكان خاصة في الحرب ، فجعل عنترة المرأة (عبلة) موصّلاً و محفزّاً له تمكن من خلالها الربط بين المثيرات الذّاكراتية له و بين ذكر الطلل و المحبوبة ، و كأنه جعلها رافداً لأشعاره و قصائده التي قالها .

و نجده يقول أيضاً ([٢٩]) :

و لقد نزلْتِ فلا تظُنّي غيرَهُ مني بمنزلةِ المُحب المُكرمِ

هنا يستذكر الشاعر صورة مجده في الحرب و يضعها في مقارنة مع مكانة عبلة ، إذ يمزج بين ذاكرته القتالية و مشاعره العاطفية مع عبلة .

و قال في المحبوبة ([٣٠]) :

دارٌ لآنسةٍ غضيضٍ طرفُها طوعِ العناقِ لذيذةِ المُبتسمِ

في البيت الشعريّ أراد الشاعر ان يهرب من الواقع المرير ، فاستحضر صورة حسيّة للمحبوبة ليفرّ من الحزن و الألم و الكآبة الذي يعيشه ، فهو يصورها بأنها شابة ذات محاسن و حياء و رّقة ، تحظى بسحرٍ مميز خاصة في نظراتها و ابتسامتها، و هذا يجعلها محط أنظار المحبين، فهنا استحضر الخيال و الماضي ليتخلص من الحاضر المرير .

ذّاكرة الشاعر (الحربية) :

و من تجليات الذّاكرة في معلقة عنترة (الحرب) المعارك التي شارك فيها عنترة آنذاك ، إذ نجد انه ذكر أدوات حربه كالسيف و الرمح و فرسه ، فهو يستعيد ذكرياته عن الشجاعة والفروسية، و كان يسعى لتحقيق المجد و الشرف ، و يتذكر المعارك التي خاضها والأعداء الذين هزمهم، تعبر هذه المعلقة عن فخره بقوته وبسالته، وتُذكِر بما كان عليه في شبابه ، و قد استذكرها باسلوب حماسي ، فهو خلّد لحظات البطولة و الانتصارات التي عاشها و صوّر صورة البطل الذي لا يُهزم بمشاهد قتالية تبرز شجاعته و قوته الفائقة و مفاخره بنفسه ، و هذا يخلق صوّر ملحمية ، كما تمنح هذه الذكريات الحربية بُعداً تصويرياً درامياً .

و نجد هذه التجليات واضحة في معلقته ، إذ يقول ([٣١]) :

لما رأيت القومَ أقبـــــلَ جمعــهم يتذامرونَ كـرزْتُ غيـرَ مُذَمَّـمِ

يدعون عنتـــــرَ و الرماحُ كأنــها أشطانُ بئـرٍ فـي لبـانِ الأدهــمِ

([٢٨]) – الديوان : ١٥٤ .

([٢٩]) – م . ن : ١٥٣ .

([٣٠]) – م . ن : ١٤٩ .

([٣١]) – الديوان : ١٨١ – ١٨٣ .

تجليات الذّاكرة في معلقة عنترة بن شدّاد

م. م حوراء نعمه كمال بيعي

ما زِلْــتُ أرميـــــــــهم بثغرةِ نحرهِ و لِبانِهِ حتَّـى تسربـلَ بالـــدمِ
فازْورَّ مِـــــن وقـــــعِ القنا بلبانِهِ و شَكـا إلـيَّ بعبرةٍ و تحمْـحُمِ
لو كانَ يدري مـــا المحاورةُ اشتكى أو كانَ يـدري مـا جوابِ تكلُّمِي

النص الشعري زاخر بالذّاكرة الشعرية المستوحاة من وحي المعارك و الحرب ذاتها ، فالشاعر يسترجع النص بذّاكرة بصرية ، فهو يصور لنا مشاهد واقعية حدثت أمامه و شاهدها بعينه ، فهو استذكر كيف يُنادى في المعارك ، و كيف كـان القوم يحرضون بعضـهم البعض (لما رأيت القومَ أقبـــــلَ جمعـهم) ، فهذا دفعه الى السرعة في تلبية رغباتهم دون تردد و عدم الانخراط الى الوراء .

كما وصف الرماح كأنها الأشطان التي تحيط بالبئر و التي تمتاز بقوتها و هي تشبه لبان الجمل الأسود الصلب و المهيب ، فهي صورة واضحة عن قـوة و صلابـة هذه الرماح ، بقولـه (أشطانُ بئرٍ في لبانِ الأدهمِ).

ثم يعود عنترة و يسترجع ذّاكرته فيصف لنا حال فرسه في المعركة ، إذ يجسد لنا صورة الفرس بهيئة إنسان ، إذ يميل بصدره و يشكو إليه و ما أصابه حتى ان لبانه ذات السربال المقطع قد تسربل بالدم (و لِبانِهِ حتَّـى تسربلَ بالــدمِ) ، فلو كان هذا الفرس إنساناً لتحدث معه و أخبره ما يجول في صدره من ألم و ضربات و طعنات ، حتى تبيّن له أن يتخيلَ بأن شكواه (و شَكا إلـيَّ بعبرةٍ و تحمْـحُمِ) ، و هي صورة ذّاكراتية حيّة ذات وصف دقيق للوحة بصرية واقعية بيّنت حجم الألم و المعاناة .

و ان ما ذكره من مفردات (أرمي ، تسربل ، ازور ، شكا ، تحمحم ، يدري) فيها انتقالة من الماضي الذي حدث معه إلى الحاضر الذي استرجعه بذّاكرة بصرية و بمشاهد واقعية ، و كأنه أراد أن يبين الحوار بينه و بين فرسه النابع من معاناة و ألم في آنٍ واحدٍ .

و يقول أيضاً ([٢]) [٣] :

و مدَّججٍ كَــرِهَ الكمـاةُ نزالـهُ لا مُمعنٍ هرباً و لا مُستسلمِ
جـادتْ يدايَ لـهُ بعاجـلِ طعنةٍ بمُثقفٍ صـدقِ القنــاةِ مـقومِ
فشككـت بالرُّمحِ الطويل ثيابَهُ ليس الكريمُ على القنا بمحرَّمِ

في النص الشعري ، نجد الشاعر يستذكر مشهداً من مشاهد المعارك التي خاضها ، إذ يصور لنا كيف قام بقتل الفارس الذي نعته بالمدجج و هو شديد التسلح ، فهي دلالة واضحة عن قوة الحدث حتى ان الفرسان تكره القتال معه خوفاً منه ، فيريد ان يرغم هذا الفارس بالهروب أو الاستسلام ، فهو أراد أن يخبر عبلة بأنه فارساً شجاعاً مقداماً و أسطورة زمانه لا يهاب شيء ، ثم يستذكر و يصف لنا دقة المشهد بأن طعن الفارس طعنة سريعة و برمح مستقيم ، فتمزقت ثيابه و تلاشت أجزاء جسده ، ان الشريف هو الذي لا يخشى الموت في القتال ، فالموت ليس حرام فيه ، و استعمل المفردات (مدجج ، هرباً ، مستسلم ، طعنة ، صدق القناة ، شككت) لأن فيها مثير ذاكراتي قوي تخلق مشاهد داميّة و خالدة في عمق الذّاكرة .

و من خلال ذلك تبيّن ان تجليات الذّاكرة عند عنترة واضحة من خلال المكان و المرأة و المعارك الحربية ، فتجلى المكان في معلقة عنترة كمرآة للحنين و الوفاء، إذ يعود الشاعر إلى ديار المحبوبة عبلة متأملاً آثارها، مستحضراً ذكريات اللقاء فيها.

كما خلّد عنترة محور العاطفة الرئيس في المعلقة و هي عبلة ، إذ مثّلت الذّاكرة العاطفية التي لا تغيب، كما و هي المحرك الأول لمشاعره و عاطفته .

كما و تمثل المعارك بعدًا بطوليًا لذاكرة عنترة، حيث يستعرض فيها مواقفه البطولية ومآثره في الدفاع عن قومه ، فهي ليست فقط سرداً للأحداث ، بل توثيقًا لهويته كمحارب وشاعر في تذكّره للمعارك ، يُمجد البطولة والفروسية والشجاعة .

الخاتمة :

([٣]) – الديوان : ١٧٣ – ١٧٤ .

في معلقة عنترة بن شدّاد ، تتجلى الذّاكرة بوصفها عنصراً حيوياً يعكس تجربة الشاعر العاطفية، فمن خلال استرجاعه لماضيه العاطفي، يُعبر عنترة عن شوقه وحنينه إلى الديار و المحبوبــة عبلة ، مستخدماً الوقوف على الأطلال كوسيلة لاستحضار مشاعره القديمة.

و بهذا، تصبح الذّاكرة عند عنترة ليست مجرد استرجاع للأحداث، بل أداة فنية تعكس صراعه الداخلي بين الحب والحرب، كما أنها تبرز طبيعة الشعر الجاهلي الذي يقوم على التذّكر والاستحضار، مما يمنح القصيدة عمقاً شعورياً وقوةً تصويرية تجعلها خالدة في الوجدان العربي.

المراجع و المصادر:

1- اسرار الذّاكرة الانسانية و امكانات العقل البشري ، د. عزيزة محمد السيد ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٤م .

2- تاريخ الفكر الفلسفي أرسطو و المدارس المتأخرة ، د. محمد علي أبو ريان ، دار المعرفة الجامعية .

3- تنصيص الذّاكرة في الشعر العراقي الحديث – التجربة الشعرية عند الروّاد – ، د. فاتن عبد الجبار جواد ، تموز للطباعة و النشر ، دمشق ، ط١ ، ٢٠١٢م.

٤- الذّاكرة في الفلسفة و الأدب ، ميري ورنوك ، تر : فلاح رحيم ، دار الكتب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

٥- السرد و الاعتراف و الهوية ، د. عبد الله ابراهيم ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١١م.

٦- شرح ديوان عنترة ، الخطيب التبريزي ،قدمه : مجيد طراد ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، ١٩٩٢م .

٧ – العمدة في صناعة الشعر و نقده ، ابن رشيق ، تح : د. النبوي عبد الواحد شعلان ، ط٢ ، دار الغواص لنشر مكنون العلم و صونه ، ٢٠١٩م .

٨- فاعلية الذّاكرة في تليباثي بين أسطرة الواقع و سحر الخيال ، د. ايمان العبيدي ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٨م .

٩- في الذّاكرة الشعرية ، قيس كاظم الجنابي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٨٨م .

١٠- القاموس المحيط، مجد الدين محمد الفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، اشراف محمد نعيم العرقسوي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ، ط٨، ٢٠٠٥م.

١١- لسان العرب لابن منظور ، تح :عبدالله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة ، د. ط .

١٢- المعجم المفصل في الأدب ، د. محمد التونجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٩٩م .

١٣- النسق الثقافي في قراءة ثقافية في انساق الشعر العربي القديم ، يوسف عليمات ، عالم الكتب الحديثة للنشر و التوزيع ، الجامعة الهاشمية ، ط١ ، ٢٠٠٩م .

الرسائل و الأطاريح :

١- الذّاكرة في شعر الصعاليك حتى نهاية العصر الأموي، رسالة ماجستير ، حوراء نعمه كمال ، جامعة بابل ، ٢٠٢٣م .

٢- المكان في الشعر العربي قبل الاسلام ، رسالة ماجستير ، حيدر لازم مطلك ، جامعة بغداد ، ١٩٨٧م .

البحوث و الدوريات :

١- التكامل و الابداع بين الفن و الادب و العلم ، منذر بدر حلوم ، مجلة عمّان ، عمان ، العدد ١٠٠ ، ٢٠٠٣م .

٢- الحرب في الزمنين التأريخي و الشعري ، د. ريتا عوض ، مجلة الكويت ، العدد ٥٣٩ ، ٢٠٠٣م.

٣- دلالة المكان في الشعر الجاهلي ، د. عمار القريشي و أ. معمري فواز ، مقالات الباحث العلمي ، جامعة محمد بوضياف – المسيلة ، ٢٠١٦م .

٤- قراءة في ديوان غنائيات الحب و الحياة ، عبد اللطيف أرناؤوط ، المجلة العربية ، سوريا ، العدد ٩٨ ، ١٩٩٣م .